

2015

العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً

Thabet Abou Al Haj

أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالابا، ماليزيا
aboualhajth@jinan.edu.lb

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan>



Part of the [Social and Cultural Anthropology Commons](#)

Recommended Citation

Abou Al Haj, Thabet (2015) "العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين: مدينة القدس نموذجاً" *الجنان Al Jinan*: Vol. 7 , Article 2.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol7/iss1/2>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in *الجنان Al Jinan* by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, dr_ahmad@aarj.edu.jo.

د. ثابت أحمد أبو الحاج

أستاذ مساعد بقسم القرآن والحديث
أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالايا، ماليزيا

العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين:

مدينة القدس نموذجاً

DOI: 10.33986/0522-000-007-003

الملخص

تتناول هذه الدراسة مفهوم التعايش السلمي والتسامح الديني عند أصحاب الرسائل السماوية، والذي ينبثق من خلال الفهم السليم لأحكام رب العالمين، رب الرسالات جميعاً، ويبيّن البحث أن التعايش الديني هو الوسيلة للتواصل الحضاري، والتبادل الثقافي، والتقاء الأمم لتحقيق ما فيه خير البشرية وصالحها العام، كما ويهدف البحث إلى بيان أهمية القدس التاريخية والمكانية عند أصحاب الديانات، ويقدمها نموذجاً تطبيقياً حياً للاقتداء به، الأمر الذي استطاع أهلها على اختلاف دياناتهم- وبالرغم من الظروف كافة: السياسية والاقتصادية التي يمرون بها- تقديم أروع الصور المشرفة للتعايش السلمي، واستحقوا بذلك أن يكونوا أهلاً لسكنى هذه المدينة المباركة، واقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة؛ وأربعة مباحث، وخاتمة؛ فقد تضمنت المقدمة أهمية البحث ومشكلته وأسئلته وأهدافه والدراسات السابقة وخطته، والمبحث الأول: تناول مفهوم التعايش السلمي وأسس ومبادئه العامة، والمبحث الثاني: أبرز الأصول الدينية للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين، والمبحث الثالث: جاء لبيان تاريخ مدينة القدس وأهميتها الدينية، وأما المبحث الرابع: فقد تضمن نماذج تطبيقية للتعايش السلمي والتسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس، وحتى يحقق البحث نتائجه المرجوة اعتمد الباحث المنهج الوصفي التطبيقي، الذي يحدد مسار البحث ويوصله إلى الهدف المنشود.

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي، التسامح الديني، القدس، المسلمين، المسيحيين.

Peaceful coexistence between Muslims and Christians: the case of Jerusalem

Abstract

Peaceful coexistence between religions in this contemporary age is both an individual and social necessity. It is particularly important given the interconnectedness of today's world in various areas such as politics, economics, society and culture, in this context, Demonstrate the importance of research in the field of peaceful coexistence between Muslims and Christians. In this article, the city of Jerusalem is selected as a case study of coexistence between Muslims and Christians due to it constituting a living city that exemplifies such coexistence. In addition, its inhabitants have managed, despite all kinds of division and discrimination, and in spite of the difficult political, economic, cultural and social conditions, to provide the finest images of peaceful coexistence, and by virtue of this deserve to live in this blessed city, The article demonstrates that religious coexistence is the means of communication between civilizations, cultural exchange, and the confluence of nations for the good of humanity. Furthermore, the article explores the historical and geographical importance of Jerusalem among the followers of the Abrahamic religions as a living model worthy of emulation.

Keywords: Peaceful coexistence: religious tolerance: Jerusalem: Muslims: Christians.

المقدمة

يُعد التعايش السلمي بين أهل الرسالات السماوية المختلفة في حياتنا المعاصرة ضرورة فردية واجتماعية، خاصةً مع ما يشهده العالم اليوم من انفتاح كامل على كافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ممّا دفعه إلى نبذ الأنغزالية، والتخلي عن الفردية، ولأنّ العالم اليوم يسير بخطى متنامية نحو التطور العلمي، والتنافس المادي بشتى أنواعه، فقد برزت الحاجة إلى كتابات موجهة ومنضبطة في مجال التعايش السلمي، وتقديم نماذج حية معاصرة في هذا المجال.

ويقدم هذا البحث نموذجاً تطبيقياً حياً ومتجدداً لأظهر وأهم بقعة عند أصحاب الرسالات السماوية جميعاً ألا وهي مدينة القدس، والتي بات أهلها عرضة لكل أنواع التفرقة والتمييز في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومع ذلك كله فقد استطاعوا بسبب

وعيهم وتأخيهم وانتمائهم أن يقدموا صورة مشرقة للتعايش السلمي فيما بينهم، فأضحت نموذجاً حياً يقتدى به في مجتمعاتنا المعاصرة.

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث في أنه :

يقدم مفهوماً علمياً للتعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات. يبين الأصول الدينية للتعايش السلمي عند أصحاب الديانتين الإسلامية والمسيحية. يبرز مكانة القدس التاريخية والدينية عند أصحاب الرسالات السماوية. يقدم نموذجاً تطبيقياً معاصراً لمفهوم التعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات، من خلال مدينة القدس المباركة.

مُشكلة البحث :

قد يظن البعض أن التعايش السلمي بين أهل الرسالات السماوية إنما هو عمل فلسفي نظري لا يرتبط بالواقع، وأن كثيراً من الباحثين قد عرضوا في كتبهم ومقالاتهم وجهة نظرهم حول هذا الأمر، ولكنها لا تعدو كونها أمراً نظرياً لا يرقى إلى المستوى التطبيقي المطلوب، كما وقد يظن بعضهم أن التعايش السلمي مرهونٌ بحالة الأمن والسلم والرخاء المجتمعي في نفس البقعة التي يقيم فيها أبناء الديانات السماوية المختلفة، ويظن بعضهم أن اختلاف الأصول الدينية في الديانات السماوية قد تحول دون التعايش السلمي، وتمنع كل أشكال الحوار والتوافق بين المجتمعات المعاصرة.

ووفقاً لمشكلة البحث تظهر الأسئلة الآتية :

ما المفهوم العلمي للتعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات السماوية؟
ما الأصول الدينية للتعايش السلمي والتسامح الديني عند المسلمين والمسيحيين؟
هل التعايش السلمي مرهون بحالة السلم والأمن والرخاء الاقتصادي، أم أن النموذج الذي قدّمته مدينة القدس يردّ هذا الادعاء من أصله؟
ما متطلبات التعايش السلمي المعاصر وفقاً للمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية؟

أهداف البحث :

- بيان مفهوم التعايش السلمي والتسامح الديني بين أصحاب الرسالات السماوية.
- بيان أن الفهم السليم لأحكام رب العالمين هو ركيزة أساسية لتطبيق مفهوم التعايش الديني، وأن الفهم الخاطئ هو مدعاة لهدم هذا البناء الإنساني العظيم.

- بيان أن التعايش الديني هو الوسيلة للتواصل الحضاري والتبادل الثقافي والتقاء الأمم لما فيه منفعتها وصالحها العام.
- بيان أهمية القدس ومكانتها عند أصحاب الرسالات السماوية.
- تقديم نماذج تطبيقية للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في القدس كأنموذج إنساني فاضل يُقتدى به.

الدراسات السابقة

وحتى كتابة هذا البحث لم يجد الباحث أية دراسة متخصصة في التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس⁽¹⁾، ولكن هناك كتابات تعرضت لمفهوم حرية الاعتقاد والتعايش السلمي بين أصحاب الديانات بشكل عام، منها:

- الحرية الدينية بين المسلمين وأهل الكتاب تأصيل المفهوم ورد الشبهات، المؤلف: خالد بن عبد الله القاسم ١٤٣٠هـ، إصدار: كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة بجامعة الملك سعود.
- التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، سور رحمن هدايات، دار السلام للطباعة والنشر، تحقيق محمد عبد الرحمن مندور، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، تأليف: تيسير العمر، الناشر دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م.
- مبادئ التعايش السلمي في الإسلام: منهجاً وسيرةً، عبد العظيم إبراهيم المطعني، كتاب نشرته دار الفتح للإعلام العربي، ١٩٩٦م.

وهذه الدراسات عرضت لما يلي:

- الأصول الشرعية للتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من وجهة نظر الإسلام.
- بيان ضوابط وأسس التعايش السلمي والحرريات الدينية في الإسلام.
- ولم تتعرض للأصول الدينية للحرريات والاعتقاد عند غير المسلمين، أو تقدم نماذج تطبيقية معاصرة عند المسلمين وغيرهم، وهذا ما يميز هذه الدراسة، إذ أنها تعرض لمعتقد الآخرين وأفكارهم وبكل موضوعية، وتقدمه من خلال دراسة تطبيقية على مدينة القدس.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهجين: الوصفي الذي يعرض الموضوع وجوانبه،

١- لأنه لا فرق بين التعايش بين المتخالفين في القدس وغيرها - فكل كتابة عن التعايش بين المسلمين وغيرهم نفذت على أي مكان في العالم.

والتطبيقي الذي يجعل الموضوع ضمن الدراسات المعاصرة، وذلك لتقديم رؤية حيّة متجددة، من خلال إلقاء الضوء على التعايش السلمي في مدينة القدس.

خطة البحث:

- افتتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:
- مقدمة البحث، وفيها: أهمية البحث ومشكلته وأسئلته وأهدافه وخطته.
 - المبحث الأول: مفهوم التعايش السلمي وأُسُسُه ومبادئه العامة.
 - المبحث الثاني: الأصول الدينية للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين
 - المبحث الثالث: تاريخ مدينة القدس وأهميتها الدينية عند أصحاب الرسالات السماوية.
 - المبحث الرابع: نماذج تطبيقية للتعايش السلمي والتسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس.
 - الخاتمة، وفيها ملخص البحث ونتائجه وتوصيات الباحثين.

المبحث الأول: مفهوم التعايش السلمي، وأسسُه، ومبادئه العامة

المطلب الأول: مفهوم التعايش في اللغة والاصطلاح:

مفهوم التعايش في اللغة:

عند الرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش، التي هي الأصل في اشتقاق الاصطلاح نجد في المعجم الوسيط «تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي، وعاشه: عاش معه، والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل»^(١).

أما التعايش السلمي في الاصطلاح:

«التعايش في الاصطلاح يُقصد به: العيش المتبادل مع الآخرين القائم على المسالمة والمهادنة»^(٢).

والتعايش السلمي من المصطلحات الحديثة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وهو مصطلح يراد به: حالة السلم التي تعيش بها دول ذات أنظمة اجتماعية، وعقائد سياسية متباينة وسيما كتلة الدول الرأسمالية الغربية، وكتلة الدول الاشتراكية دون نشوب الحرب بينهما. وإذا دققنا في مدلولات مصطلح التعايش (coexistence) الذي شاع في هذا العصر،-

١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢، ص ٦٣٩-٦٤٠.

٢- عباس الجراري، مقال بعنوان: مفهوم التعايش في الإسلام، مجلة الإسلام اليوم ص ٢٧، العدد ١٤، عام ١٤١٧هـ، وهي مجلة تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية - إيسيسكو.

والذي ابتدأ رواجه مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية، اللتين كانتا تقسمان العالم إلى معسكرين متناحرين قبل سقوط برلين وانتهاء الاتحاد السوفيتي-، نجد أن البحث في مدلول هذا المصطلح يقودنا إلى جملة من المعاني محملة بمفاهيم تتضارب فيما بينها ولكن يمكن تصنيفها إلى مستويات ثلاث:

المستوى الأول: سياسي، أيديولوجي، يحمل معنى الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائه، أو التحكم في إدارة هذا الصراع بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية، وقد عرف التعايش أول ما عرف على هذا المستوى الأول.

المستوى الثاني: اقتصادي، وهو يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية من قريب أو بعيد.

المستوى الثالث: ديني وثقافي وحضاري، وهو الأحداث، ويشمل -تحديداً- معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري، والمراد به أن تلتقي إرادة أهل الأديان في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون على ما فيه من الخير الذي يعم بني البشر جميعاً دون استثناء.

وعلى هذا المستوى الثالث، وعلى ضوء المفهوم المحدد الذي نستخلصه منه نتعامل مع مصطلح التعايش، وننظر في أبعاده ومرامييه.

ومن المصطلحات المرادفة شائعة الاستعمال: مفهوم التسامح.

جاء في لسان العرب: «سمح-السماح- السماحة-المسامحة، والتسّميح، وتعني لغة الجود، وأسْمَحَ: إذا جاد وأعطى بكرم وسخاء، وأسْمَحَ وتَسَامَحَ: وافقني على المطلوب، والمسامحة هي المساهلة»^(١).

أما التَّسَامُحُ والذي هو مطلبٌ مهم وضروري للتعايش: فهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية التي تقتضي نبذ التحرف، أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة، قد لا يوافق المرء عليها، فمفهوم التسامح يكافئ المفهوم الديمقراطي بأبعاده الاجتماعية؛ لأن كلاهما الديمقراطية الاجتماعية، والتسامح مفهومان يتضمنان قيم الإنسان، وحقوقه التي تسعى إلى تحرير الإنسان من كافة أشكال العبودية والقهر والتسلط^(٢).

١- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور: «لسان العرب»، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٦م، ٢/٤٩٠.

٢- ينظر بتصرف: مراد وهبة: «التسامح والدوجماطيقية» ضمن أبحاث المؤتمر الإقليمي الأول للمجموعة الأوروبية العربية

إذن فإن التسامح بالمعنى الحديث يدل على قبول اختلاف الآخرين سواء في الدين أو العرق أو السياسة.

التسامح والتعددية :

جاء في المادة رقم (١) من القانون العام لليونسكو الفقرة (٢): «إن التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية (بما في ذلك التعددية الثقافية) والديمقراطية وحكم القانون، وهو ينطوي على نبذ الدوغماتية والاستبدادية، ويثبت المعايير التي تنص عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان»^(١).

لذا يكتسب التسامح أهمية خاصة إذا كان الناس ذوي القناعات الدينية والأيدولوجية، والسياسية المختلفة، الذين يرغبون في أن يعيشوا معاً في مجتمع ديمقراطي تعددي. ومن خلال ما سبق يتضح أنّ التعايش السلمي والتسامح الديني لا بدّ لهما من عدّة أسس يقومان عليها:

الأساس الأول: الإرادة الحرة المشتركة.

الأساس الثاني: التفاهم حول الأهداف والغايات.

الأساس الثالث: التعاون على العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها ووفقاً لخُطّط التنفيذ التي يضعها الطرفان الراغبان في التعايش المصمّمان عليه.

الأساس الرابع: صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام المتبادل، ومن الثقة المتبادلة أيضاً.

المطلب الثاني:

المبادئ العامة للتعايش السلمي والتسامح الديني في الإسلام^(٢).

أولَى الإسلامُ عنايةً قصوى بترسيخ مجموعة من المبادئ والأسس والقواعد العامة في نفوس المسلمين من خلال مجموعة كبيرة من الآيات والأحاديث الشريفة، لتحقيق التعايش السلمي، والقبول بالآخر، بل لتحقيق التعاون البناء ومن أهمها:

للبحوث الاجتماعية المنعقد في ٢١-٢٤ نوفمبر عام ١٩٨١م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٤٢-٥٩، ص١٥٥، وقاسم الصراف، «غياب المفاهيم التربوية في البيئة المدرسية، ضمن الكتاب السنوي العاشر، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، م١٩٩٤-١٩٩٥م، ص١١٢-١٥١، ص١١٦.

١- ينظر: قانون التسامح لليونسكو، منشور على هذا الموقع: www.umn.edu/humanrts/arab/tolerance.html

٢- أهم آية تتعلق بهذا الموضوع هي قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)؛ / الحجرات/ لتعارف يحتاج إلى تألف وتفهّم كل طرف للآخر والحوار بالحسنى مع تبادل خبرات الآخر

أولاً: مبدأ الإقرار بالاختلافات القومية، واللونية والفكرية والدينية والعقدية:

إن من سنن الله تعالى أن الناس (مسلمين أو غيرهم) مختلفون في الأديان والأفكار والأيدولوجيات والتصورات، فهناك العشرات بل المئات بل الآلاف من الأفكار والأديان والتصورات والمذاهب الفكرية والتوجهات المختلفة في مختلف جوانب الحياة، وهذا الاختلاف هو من إرادة الله تعالى ومن سننه الماضية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفُ أَسْنِيكُمْ وَالْوَزْكَرَ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (٢٣) ﴿١﴾.

وفي نطاق الاختلاف في الأديان والمذاهب والآراء يقول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١٣) ﴿٢﴾، يبين الله تعالى أن سننه تقتضي وجود هذا الاختلاف حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) ﴿٣﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴿٤﴾.

حيث دلت هذه الآيات بوضوح على أن الاختلاف شأن الناس جميعاً، كما يفهم منه قبول هذا الاختلاف مع السعي لتقليله، ولكن هذه الاختلافات تظل أو تكثر، تضعف أو تشتد، تصغر أو تكبر حسب نسب مختلفة وفئات متنوعة من المسلمين وغيرهم، ولكن المشتركات الإنسانية بين جميع بني البشر، ثم المشتركات في أصول الأديان، والقيم العليا أكثر وأكبر وأعظم من المفرقات والممزقات وبخاصة في مجال قبول الآخر، والعيش المشترك قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (١٠) ﴿٤﴾.

ثانياً: مبدأ وحدة الأديان السماوية في أصولها، وأن منزلها واحد:

أرجع الإسلام الأديان السماوية كلها إلى أصل واحد وهو الوحي الإلهي، وأن شرائع الله تعالى قد انبثقت من مشكاة نور واحدة، ولذلك يدعو الإسلام أتباعه إلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين والكتب السماوية، والكتب المنزلة السابقة، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا

١- سورة الروم: آية ٢٢.

٢- سورة البقرة: آية ٢١٢.

٣- سورة هود آية: ١١٨-١١٩.

٤- سورة الرحمن: آية ١٠.

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾^(٢).

ويبين الله تعالى بأنه شرع لهذه الأمة كل الشرائع الأساسية التي شرعها لبقية الأنبياء، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿١٣﴾﴾^(٣)، وقد ذمَّ الله تعالى الذين فرَّقوا دينهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴿١٥٩﴾﴾^(٤).

وأكثر من ذلك فإن القرآن الكريم جعل لفظ الإسلام اسماً مشتركاً لجميع الأديان السماوية السابقة وعلى أسنة أكثر الأنبياء، فيقول في شأن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾^(٥)، وقال في شأن يعقوب: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾^(٦)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾﴾^(٧)، وقد نتج عن ذلك: الاعتراف بالأديان السماوية الحقة، وبجميع الرسل والأنبياء الذين ذكروهم القرآن أو الذين لم يذكرهم، وفسح المجال لأصحاب الأديان أن يعيشوا في ظل الإسلام.

ثالثاً: مبدأ التعامل مع غير المسلمين بالتسامح دون الإكراه والاعتداء:

فقد قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴿٢٥٦﴾﴾^(٨)، وقال تعالى محمّداً وظيفته الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ ﴿١١﴾﴾^(٩)، وقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ

١- سورة البقرة: آية ٢٨٥.

٢- سورة البقرة: آية ١٣٦.

٣- سورة الشورى: آية ١٣.

٤- سورة الأنعام: آية ١٥٩.

٥- سورة البقرة: آية ١٣١.

٦- سورة البقرة: آية ١٣٣.

٧- سورة آل عمران: آية ١٩.

٨- سورة البقرة: آية ٢٥٦.

٩- سورة المائدة: آية ٩٩.

الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾^(١) وقال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٢)، وقد أكد الله تعالى هذه المعاني في الآيات التي نزلت بالمدينة مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةِ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣).

ومن الناحية العملية كانت وثيقة المدينة التي تعتبر بمثابة دُستور يحكم أهل المدينة الذين كانوا مختلفين من حيث الدين (الإسلام والشرك واليهودية)، ومن حيث الجنس (القحطانيون والعدنانيون واليهود)، حيث ساوت الوثيقة بين الجميع في الحقوق العامة والواجبات من حسن الجوار والتناصر، وهذا ما يسمى في عصرنا الحاضر بحقوق المواطنة، وقد ظلت الدولة الإسلامية تحافظ على حقوق الذميين والمعاهدين بالكامل؛ فحفظت لهم مكانتهم، وبعض المناصب العليا حتى من الوزارات وغيرها كانت لهم^(٤)، يقول لول ديورانت: «لقد كان أهل الذمة بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائرهم الدينية، واحتفلوا بكنائسهم ومعابدهم»^(٥).

المبحث الثاني:

الأصول الدينية للتعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية

إنَّ الأديان بحكم انتمائها إلى السماء فإنها لا تأمر إلا بالخير والحق والصلاح، ولا تدعو إلا إلى البرِّ والحب والرحمة والإحسان، ولا تُوصي إلا بالأمن والسَّلم والسَّلام، وما كانت يوماً في حدِّ ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح والتثقف، ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، إنما العائق يكمن في الذين يتوهمون أنَّهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، ويستغلون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم، تلك المهمة التي أبقى الله تعالى أن يمنحها إلا لأنبيائه الأخيار، والمهم أيضاً أنَّ الإشكال ليس في الأديان ذاتها وإنما هو كامن في عقم أفهام بعض القائمين عليها ولا زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لاتعدُّ ولا تحصى.

المطلب الأول: الأصول الدينية للتعايش السلمي عند المسلمين

إن التعايش بين المسلمين وغير المسلمين المسالمين مشروع، والنصوص التي تدل على مشروعيتها كثيرة، ومن أبرز نصوص القرآن الكريم الدالة على التعايش ما يأتي:

١- سورة الشورى: آية ١٥.

٢- سورة الكافرون: آية ٦.

٣- سورة آل عمران: آية ٢٠.

٤- أبو هلاله، يوسف: تعامل المسلمين مع غيرهم، ط١، دار الضياء ٢٠٠٢، ص ٥٥.

٥- ديورانت، لول: قصة الحضارة، (١٣/١٢١).

١- أثنى الإسلام على الأديان السماوية وكتبها وأنبأها ثناءً عاطراً ، وقد أولى القرآن عناية قصوى بالثناء على سيدنا إبراهيم الذي هو جدُ الأنبياء جميعاً ، وعلى أولاده وذريّاته ، وعلى سيدنا موسى حيث ذكره القرآن الكريم في قصصه في عدة سور ، بلغ تكرارها موجزاً ومختصراً أربع عشرة مرة ، كما أثنى القرآن على آل عمران وسمّى سورة باسمهم ، وعلى مريم التي سمى باسمها سورة ، وعلى السيد المسيح - عليه السلام - في عدة آيات وسور فسماه القرآن: كلمة الله ، ووصفه بأوصاف عظيمة ، بل إن الله تعالى أثنى ثناءً عاطراً على بني إسرائيل عندما كانوا يحملون الدعوة إلى الله تعالى حتى فضلهم على عالمي زمانهم ، فقال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾^(١) ، كما أثنى على النصارى بصورة عامة فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾^(٢) .

٢- كذلك ذكر القرآن الكريم التوراة والإنجيل بأوصاف جميلة وعظيمة فقال تعالى في وصف التوراة: ﴿أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخَشَوْا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾^(٣) ، وقال في حق الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَعَآئِنَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾^(٤)

٣- بل إن الإسلام يشترط لصحة العقيدة واكتمال أركان الإيمان أن يؤمن المسلم بجميع الرسل ، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾^(٥) ، كل ذلك حتى يؤدي إلى كسب اليهود والنصارى ، وإبعادهم عن شبه الصراع ، ولكنهم لم يؤلوا العناية المطلوبة لكل ما جاء في القرآن العظيم حول ما جاء عن الأديان السابقة ، وكتبها ورسلها وحول بني إسرائيل والنصارى .

١- سورة البقرة: آية ٤٧ .

٢- سورة المائدة: آية ٨٢ .

٣- سورة المائدة: آية ٤٤ .

٤- سورة المائدة: آية ٤٦ .

٥- سورة البقرة: آية ٢٨٥ .

٤- عدم تعميم الحكم في الإسلام على الآخرين:

ومن أعظم الوسائل المقربة لما بين الناس، هو أن القرآن الكريم لم يعمم الحكم على أهل الأديان جميعاً، بل ترك مجالاً كثيراً للحوار والتعايش مع الآخرين، حيث لم يحكم عليهم حكماً عاماً في سوء التعامل أو عدم الصلاح أو عدم الأمانة، فمثلاً قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾^(١)، وقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِنْ تَأْمَنَهُ بَقِنَارٍ يُّؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾^(٢)، فهذه الآيات تهيء الأجواء المناسبة للتعايش والتعاون والتعاون.

وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾^(٣)، والآية فيها الحث على الإحسان والبر^(٤) بغير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين، أو يتآمروا على قتلهم، والإحسان المذكور في هذه الآية يكون بالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم، واحتمال أذيتهم في الجوار لطفاً منّا بهم، لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمور دينهم ودنياهم، وحفظ غيباتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم.

هياً الإسلام أتباعه من خلال النصوص الواضحة إلى تقبل الآخرين، والقبول بالتعايش المشترك معهم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾^(٥)، فالآية فيها الدعوة للتعارف - وهو يستلزم التعايش - بين جميع الناس بعيداً عن العصبية للجنس أو اللون، أو العرق، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وقال

١- سورة آل عمران: آية ١٢٣-١١٤.

٢- سورة آل عمران: آية ٧٥.

٣- سورة الممتحنة: آية ٨-٩.

٤- الفروق، لأبي العباس أحمد بن إدريس القرظي، المتوفى ٦٨٤هـ، تحقيق عمر حسن القيام، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة

الأولى، (٥١٤٢٤م/٢٠٠٣م)، ٢٠/٢٤٢٤.

٥- سورة الحجرات: آية ١٣.

تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَخْذِيٍّ أَحَدَانِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾ ^(١)، وقد أحلت الآية طعام أهل الكتاب ونساءهم، وهما أمران يستلزمان التعايش والتساكن.

وقال تعالى في التعامل مع الوالدين إذا كانا كافرين، وكان الولد مسلماً: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ^(٢)، أي صاحبهما صحبة إحصان إليهما بالمعروف ^(٣)، والبعد عن الإساءة إليهما بالقول أو الفعل، والحرص على طاعتها، وتقديمهما على كل شيء إلا على طاعة الله ورسوله، فإنهما مُقَدَّمَتان على كل شيء.

ثانياً: التعايش في ضوء السنة النبوية :

وأما النصوص التي تدل على مشروعية التعايش مع غير المسلمين المسالمين والتي جاءت مضامينها في السنة النبوية فمن أبرزها ما يأتي:

١- ما جاء في النهي عن ظلم المعاهدين والذميين، حيث ثبت أن -النبى صلى الله عليه وسلم- قال: «من أذى ذمياً فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله»، وفي رواية: ألا من ظلم معاهداً، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة» ^(٤).

٢- التعامل مع غير المسلمين بالاستدانة منهم، لحديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير ^(٥).

٣- الحث على إكرام الموتى سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لحديث جابر بن عبد الله

١- سورة المائدة: آية ٥.

٢- سورة لقمان: آية ١٥.

٣- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٢٢هـ الموافق، ٢٠٠١م، ص ٩٠٨.

٤- رواه أبو داود، السنن، مراجعة محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة. ١٧٠/٢، حديث رقم ٢٠٥٢، عن عدد من أبناء الصحابة عن آبائهم، والحديث سكت عنه أبو داود، وقواه السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ص ٢٩٢، حيث قال: وسنده لا بأس به، ولا يضره جهالة من لم يسم من أبناء الصحابة فإنهم عدد ينجز بهم جهالتهم.

٥- البخاري، صحيح البخاري بشرح الفتح، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ٩٩/٦، حديث رقم ٢٩١٦.

رضي الله عنهما، قال: مر بنا جنازة فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- فقمنا معه، فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودي، قال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا»^(١)، ولحديث عبد الله بن أبي ليلى قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض -أي من أهل الذمة- فقالا: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال: «أليست نَفْساً»^(٢).

المطلب الثاني: الأصول الدينية للتعايش السلمي عند المسيحيين

إن الإسلام لم يكن وحده في اشتماله على مبادئ التسامح، فالمسيحية قد حوت أناجيلها العديد من هذه المبادئ، والتي جاء فيها: «لقد قيل لكم من قبل أن السن بالسن والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر، ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك، وإن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين، ومن استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان»^(٣).

- «عاشروا الناس معايشة إن عشتُم حنوا إليكم وإن متُّم بكوا عليكم»^(٤).
- «فإن كنتم تغفرون للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم وإن كنتم لا تغفرون للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم»^(٥).
- «احتملوا بعضكم بعضاً إذا كانت لأحد شكوى من الآخر فكما سامحكم الرب سامحوا أنتم أيضاً»^(٦).
- «ولیکن بعضكم لبعض ملاطفاً رحيماً، غافراً كما غفر الله لكم في المسيح»^(٧).
- «وإذا قمتم للصلاة وكان لكم شيء على أحد فاغفروا له حتى يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم»^(٨).
- «فدنا بطرس وقال: يسوع يا سيّد، كم مرة يخطأ إليّ أخي وأغفر له؟ أسبع مرات؟ فأجابه

١- البخاري، صحيح البخاري بشرح الفتح، ١٨٠/٣، حديث رقم ١٢٢١.

٢- البخاري، صحيح البخاري بشرح الفتح، ١٨٠/٣، حديث رقم ١٢١٢.

٣- مقالة للأستاذ عقيل يوسف عيدان، باحث في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي، من الكويت: ayemn@yahoo.com

٤- الكتاب المقدس للمدرسة والعائلة في العهد القديم والجديد (العهد القديم) بعناية الأب سيلبيوس كناكري، ص ١٢٥.

٥- إنجيل متى ١٥-١٤: ٦.

٦- إنجيل كولوسي ١٣: ٣.

٧- إنجيل فسس ٢٢: ٤.

٨- إنجيل مرقس ٢٥: ١١.

يسوع: (لا سبع مرات، بل سبعين مرة)، فقال يسوع: اغفر لهم يا أبي (لأنهم لا يعرفون ما يعملون)^(١).

فهذه نصوص مأخوذة من الإنجيل (الكتاب المقدس) وهي بدورها تتضمن مبادئ التسامح، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية، في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة، ولا غرابة في ذلك لأن الربّ واحد ومشروع القيم السّمحة واحد، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان.

المبحث الثالث:

تاريخ مدينة القدس وأهميتها الدينية عند أصحاب الديانات السماوية

حظيت مدينة القدس - وما تزال - بمكانة عظيمة في التاريخ الإنساني، لم تضاهيها في ذلك أيّة مدينة عبر التاريخ وعلى مرّ العصور، وقد تميزت هذه المدينة بخصوصية اكتسبتها من انفرادها بالبعد الروحي المرتبط بالزمان والمكان، فهي في الزمان ضاربة جذورها منذ الأزّل بوجهها الكنعاني الحضاري، وفي المكان تتمتع بكلّ من الموقع والموضع، فكانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم والحديث، حيث تعاقبت عليها الحضارات وأمتّها المجموعات البشرية المختلفة، مُخلّفة وراءها آثارها ومخطوطاتها الأثرية التي جسدت الملاحم والحضارة والتاريخ، فكانت دلالة على عظم المكان وقدسيتها.

موقع مدينة القدس:

تقع مدينة القدس في وَسَطِ فلسطين تقريباً إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق. وترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو (٧٥٠م)، وعن سطح البحر الميت نحو (١١٥٠م)، وتقع على خط طول (٢٥) درجة و(١٣) دقيقة شرقاً، وخط عرض (٣١) درجة و(٥٢) دقيقة شمالاً، تبعد المدينة مسافة (٥٢ كم) عن البحر المتوسط في خط مستقيم، و(٢٢ كم) عن البحر الميت، و(٢٥٠ كم) عن البحر الأحمر، وتبعد عن عمان (٨٨ كم)، وعن بيروت (٢٨٨ كم)، وعن دمشق (٢٩٠ كم).

• المطلب الأول: تاريخ القدس عبر العصور

• التأسيس :

إنَّ أقدمَ جَدَرٍ تاريخي في بناء القدس يعود إلى اسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح - عليه السلام - وإيلياء أحد أسماء القدس - وقيل أن «مليك صادق» أحد ملوك اليبوسيين - وهم أشهر قبائل الكنعانيين - أول من اختط وبنى مدينة القدس وذلك سنة (٣٠٠٠ ق.م)، والتي

١- إنجيل لوقا ٢٤: ٢٤، إنجيل متى ٢١: ١١٨.

سميت بـ «بيوس» وقد عرف «مليك صادق» بالنتوى وحب السلام حتى أطلق عليه «ملك السلام»، ومن هنا جاء اسم مدينة سالم أو شالم أو «أور شالم» بمعنى دع شالم يؤسس، أو مدينة سالم، وبالتالي فإن أورشليم كان اسماً معروفاً وموجوداً قبل أن يغتصب الإسرائيليون هذه المدينة من أيدي أصحابها اليبوسيين، وسماها الإسرائيليون أيضاً «صهيون» نسبة لجبل في فلسطين، وقد غلب على المدينة اسم «القدس» بمعنى الطهر والبركة، وسميت كذلك بـ «بيت المقدس» الذي هو بيت العبادة المقدس.

تعدُّ القدس «مدينة السلام» من أقدم مدن الأرض في العصر التاريخي فهي أقدم من بابل ونيوى، ولا يسبقها في القدم على ما يبدو إلا «أون» أو «هليوبوليس» شمال القاهرة والتي أسماها العرب «عين شمس»، وترجع نشأة المدينة إلى (٣٠٠٠ ق.م)، وقد سكنها اليبوسيون إحدى القبائل الكنعانية من العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية مع من نزح من القبائل الكنعانية حوالي سنة (٢٥٠٠ ق.م) واحتلوا التلال المشرفة على المدينة القديمة.^(١)

• الحكم الفارسي:

استمرت سيطرة اليهود على أورشليم من عهد داود حوالي سنة (١٠٠٠ ق.م) إلى أن فتحها نبوخذ نصر (بختنصر) في سنة (٥٨٦ ق.م) ودمرها ونقل السكان اليهود إلى بابل (السبي البابلي)، وبعد أن استولى الفرس على سورية وفلسطين سمح الملك كورش سنة (٥٣٨ ق.م) لمن أراد من الأسرى اليهود بالرجوع إلى أورشليم.

• الإسكندر المقدوني:

ظلت البلاد تحت الحكم الفارسي إلى أن فتحها الإسكندر المقدوني سنة (٣٣٢ ق.م)، وتأرجحت السيطرة على أورشليم في عهد خلفائه البطالمة والسلوقيين، وقد تأثر السكان في هذا العهد الهلنستي بالحضارة الإغريقية.

• الرومان:

بعد فترة من الفوضى استولى الرومان على سورية وفلسطين، ودخل القائد الروماني بومبي أورشليم في سنة (٦٣ ق.م)، وقد سمح الرومان لليهود بشيء من الحكم الذاتي، ونصبوا في سنة (٣٧ ق.م) هيرودس الأدومي الذي اعتنق اليهودية ملكاً على الجليل وبلاد يهودا، فظل يحكمها باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية. وفي عهد الامبراطور نيرون بدأت ثورة اليهود على الرومان فقام القائد تيتوس في سنة (٧٠ م) باحتلال أورشليم وفتك باليهود. ولما قامت ثورة اليهود من جديد بقيادة باركوخيا سنة (١٣٢ م)

١- ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١: ص١٣٧، ص٢٠٩، ط٢، سنة ١٩٥٥ بغداد.

أسرع الإمبراطور هادريانوس إلى إخمادها سنة (١٣٥ م)، وخرب أورشليم وأسس مكانها مستعمرة رومانية يحرم على اليهود دخولها، أطلق عليها اسم «إيليا كابيتولينا» ولما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية أعاد إلى المدينة اسم أورشليم وقامت والدته هيلانة ببناء الكنائس فيها^(١).

• الفتح الإسلامي:

احتلت مدينة بيت المقدس منذ بداية الإسلام مكاناً هاماً؛ فقد أشير إليها عدة مرات في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، وكانت قبلة الإسلام الأولى، وإليها كان إسراء النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومنها كان عروجه إلى السماء.

وبعد هزيمة الروم في معركة اليرموك أصبح الطريق مفتوحاً إلى بيت المقدس؛ فقد طلب أبو عبيدة بن الجراح من الخليفة عمر أن يأتي إلى المدينة لأن سكانها يأبون التسليم إلا إذا حضر شخصياً لتسلم المدينة، وقد ذهب عمر إلى بيت المقدس سنة (١٥ هـ / ٦٣٦ م)، وأعطى الأمان لأهلها، وتعهد لهم بأن تُصان أرواحهم وأموالهم وكنائسهم، وبألا يسمح لليهود بالعيش بينهم، ومنح عمر سكان المدينة الحرية الدينية مقابل دفع الجزية، ورفض أن يصلّي في كنيسة القيامة لئلا تتخذ صلواته سابقة لمن يأتي بعده، وذهب إلى موقع المسجد الأقصى فأزال بيده ما كان على الصخرة من أقدار، وبنى مسجداً في الزاوية الجنوبية من ساحة الحرم، وتميز الحكم العربي الإسلامي بالتسامح الديني، واحتفظ المسيحيون بكنائسهم وبحرية أداء شعائرهم الدينية^(٢).

• الأمويون والعباسيون:

بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة المشرفة سنة (٧٢ هـ / ٦٩١ م)، وأقام الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى بعد ذلك بسنوات قلائل (حوالي سنة ٩٠ هـ). وواصل الخلفاء العباسيون الاهتمام بالقدس فزارها منهم المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ / ٥٧٤-٧٧٥ م) والمهدي (١٥٨-١٦٩ هـ / ٧٧٥-٧٨٥ م) والمأمون (١٩٨-٢١٨ هـ / ٨١٣-٨٣٣ م) عند عودته من زيارة مصر، وقد جرت في عهد الخلفاء الثلاثة تغييرات وتجديدات في المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد الخراب الذي نتج عن الزلازل المتكررة^(٣).

• الطولونيون والإخشيديون:

عندما بدأ الضعف يدب في السلطة المركزية ببغداد، دخلت القدس وفلسطين في حوزة الطولونيين سنة (٢٦٥-٢٩٢ هـ / ٨٧٨-٩٠٥ م)، وتلاههم في حكمها الإخشيديون سنة (٢٢٧

١- المصدر السابق: ص ٣٢٠.

٢- ينظر: شراب، محمد حسن، بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة، ط١، سنة ١٩٩٤ م بيروت، ص ٧٧.

٣- ينظر: مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج ١، ص ٢١١-٢٥٦.

٢٥٩ هـ / ٩٢٩ - ٩٦٩ م) وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين بدليل أن ملوكهم جميعاً دُفِنوا فيها بناءً على وصاياهم .

• الفاطميون والسلاجقة :

في سنة (٢٥٩ / ٩٦٩ م) استولى الفاطميون على القدس، وقد تميّز حكم الحاكم بأمر الله (٢٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) بالتعصب الديني واضطهاد النصارى؛ فهدم كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس وأوقع بالمسيحية شتى أنواع الاضطهاد، ولكن ذلك لم يصبهم وحدهم فلم يكن المسلمون من رعاياه أفضل حالاً بكثير.

وفي عهد الدولة الفاطمية استطاع الصليبيون الاستيلاء على بيت المقدس عام (١٠٩٩ م)، وبقيت في أيديهم حتى عام (١١٨٧ م) إلى أن استطاع القائد صلاح الدين الأيوبي تخليصها منهم بعد معركة حطين، وقد أزال صلاح الدين الصليب عن قبة الصخرة، ورفع فيها المصاحف، وعيّن لها الأئمة ووضع في المسجد الأقصى المنبر الذي كان قد أمر نورالدين محمود بن زنكي بصنعه، وودش إنشاءات إسلامية كثيرة في القدس أهمها (المدرسة الشافعية الصلاحية)، وخانقاه للصوفية، ومستشفى كبير (البيمارستان)، وأشرف بنفسه على تلك الإنشاءات، بل شارك بيديه في بناء سور القدس وتحصينه، وعقد في المدينة مجالس العلم تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل الذي وقّف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الحرم على المغاربة، حماية لمنطقة البراق المقدسة، وأنشأ فيها مدرسة، وممن حكم القدس من الأيوبيين بعد الأفضل، الملك المعظم عيسى بن أيوب، الذي أجرى تعميرات في كل من المسجد الأقصى والصخرة وأنشأ ثلاث مدارس للحنفية (وكان الحنفي الوحيد من الأسرة الأيوبية)، ولكن المعظم، عاد فدمر أسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها وضرب المدينة، فاضطّر أهلها إلى الهجرة في أسوأ الظروف وتلا المعظم بعد فترة وجيزة أخوه، الملك الكامل الذي عقد اتفاقاً مع الإمبراطور فردريك الثاني ملك الفرنجة، سلمه بموجبه القدس ما عدا الحرم الشريف، وسُلِّمَت المدينة وسَطَ مظاهر الحزن والسُّخْط والاستنكار سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) وبقيت في أيديهم حتى (٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) عندما استردها الملك الناصر داود بن أخي الكامل، ثم عادت إلى المسلمين نهائياً سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) عندما استردها الخوارزمية لصالح نجم الدين أيوب ملك مصر^(١).

• المماليك :

دخلت القدس في حوزة المماليك في سنة (٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م)، وفي عصر المماليك حظيت

١- ينظر: فاروق عمر ومحسن محمد حسين، تاريخ فلسطين في العصور الإسلامية الوسطى، سنة ١٩٨٧ م بغداد. ص ٤٥-١١١.

المدينة باهتمام ملحوظ وقام سلاطينهم: الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م)، وسيف الدين قلاوون (حكم من ٦٧٩ / ٦٨٩ هـ - ١٢٨٠ / ١٢٩٠ م)، والناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)، والأشرف قايتباي (حكم من ٨٩٣ / ٩٠٣ هـ - ١٤٨٦ / ١٤٩٦ م) وغيرهم بزيارات عدة للقدس، وأقاموا منشآت دينية ومدنية مختلفة فيها كانت آيةً للعمارة، وأجروا تعميمات كثيرة في قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ومن المنشآت التي أقامها المماليك زهاء خمسين مدرسةً وسبعين ربطاً وعشرات الزوايا.

وفي سنة (٧٧٧ هـ) جعلوا القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان في القاهرة مباشرة بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق، ومن آثار المماليك في القدس أنهم سحبوا المياه من عين العروب إلى الحرم الشريف، ومن أشهر المدارس التي أنشأوها المدرسة السلطانية الأشرفية والمدرسة التنكزية، وغدت القدس زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي كله فكان يفد إليها الدارسون والمدرّسون من مختلف الأقطار وقد اكتشف في الحرم القدسي سنة (١٩٧٤ م) وبعده وثائق مملوكية تلقي المزيد من الضوء على تاريخ المدينة^(١).

• العثمانيون:

في سنة (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) وضع السلطان سليم العثماني حداً لحكم المماليك في بلاد الشام إثر انتصاره في معركة مرج دابق، وفي السنة التالية احتل القدس، ولما توفي السلطان سليم خلفه ابنه سليمان القانوني (٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) الذي اهتم بالقدس اهتماماً خاصاً وأقام فيها منشآت كثيرة منها: سور القدس الذي دامت عمارته خمسة أعوام، وتكية خاصكي سلطان، ومساجد وأسبلة، وعمّر كذلك قبة الصخرة.

• التاريخ الحديث:

في سنة (١٨٥٤ م) أقيم أول حي يهودي يدعى «حي مونتيوري» في القدس نسبة إلى رجل يهودي استطاع شراء أرض فلسطينية بمساعدة السلطان العثماني، وفي سنة (١٩٢٠ م) وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني من أجل إنشاء دولة اليهود فيها، وفي سنة (١٩٤٨ م) اغتصبت فلسطين من قبل اليهود وطرد العرب الفلسطينيون منها، وفي سنة (١٩٦٧ م) استكمل اليهود سيطرتهم على عموم فلسطين والقدس بعد نكسة حزيران، وعادوا يطلقون عليها اسم «أورشليم»، وفي سنة ١٩٨٠ م تم إعلان ضم القدس سياسياً إلى دولة الاحتلال الإسرائيلي تحت شعار توحيد القدس^(٢).

١- ينظر: الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، قسم القدس، ط٢، سنة ١٩٨٧ م بيروت، ص: ٢٢١-٢٦٥.

٢- ينظر: حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ٣٥-٥٤.

المطلب الثاني: الأهمية الدينية للقدس عند أصحاب الديانات

مكانة القدس:

لم تحظ مدينة من المدن ولا مَصْرٌ من الأمصار في العالم كله بما حظيت به مدينة القدس من المكانة العالية في نفوس كل أجناس البشر، فهي مدينة جمعت آثاراً مقدسة منذ أربعة آلاف سنة. وقد كان لكل جنس من الأجناس حكاية مع أثر أو أكثر منها، وتحتل القدس مكانة مرموقة عند كل أصحاب الديانات، فهي عند المسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، وهي عند النصارى مهد المسيح ومكان مولده، وإليها سيعود المسيح حتى يقودهم إلى سيادة العالم «على حد زعمهم»، وهي عند اليهود المكان الذي عاش فيه ملكهم وبنى فيه هيكلهم، وهي في نفس الوقت ذات طبيعة تجعل كل من يريد ملكاً ومالاً يطمع فيها، ومن هنا تبرز أهميتها الدينية.

• أولاً: مكانة القدس عند المسلمين:

لقد ارتبط المسلمون بالقدس ارتباطاً وثيقاً وعقائدياً ظاهراً، وذلك لما تتمتع به من مكانة دينية عندهم، فقد حث النبي -صلى الله عليه وسلم- على الرباط فيها، وذكر -صلى الله عليه وسلم- فضائلها، ومما جعل للقدس هذه المكانة في نفوس المسلمين عدة أمور منها:

١. أنها مدينة الإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الإسراء: آية ١، وقد خلفت هذه الحادثة في قلوب المسلمين أثراً عظيماً جعلتهم يرتبطون بها ارتباطاً عقائدياً، وعاطفياً شديداً، حيث كانت تسرية عن نبيهم محمد في أول دعوته، وفيها فرض فيها عليهم ركن من أركان دينهم ألا وهو الصلاة، ولذا فهي تمثل جزءاً من عقيدة المسلمين وكيانهم.

٢. أنها أرض الأنبياء. والمسلمون يعتبرون أن ميرات كل الأنبياء ميرات لهم، لأن نبيهم هو النبي الخاتم، وقد حث الإسلام المسلمين على أن يؤمنوا بهؤلاء الأنبياء جميعاً، وجعله شرطاً وركناً أساسياً من أركان الإسلام.

٣. أنها كانت قبلة المسلمين الأولى، التي يتوجهون إليها وهم يعبدون ربهم.
٤. أن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر، كما أخبر النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- أصحابه، ولهذه الأمور فقد ارتبط المسلمون بالمدينة المقدسة أيما ارتباط.

ومن آثار المسلمين في القدس:

١. المسجد الأقصى.

٢. مسجد قبة الصخرة.

٣. حائط البراق.

٤. فضلاً عن أن كل أرض القدس هي مقدسة عند المسلمين.

٥. وبالإضافة إلى أن كل آثار الأنبياء قبل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - هي مقدسة عند المسلمين.

• ثانياً: مكانة القدس عند المسيحيين:

للقدس مكانة مرموقة عند المسيحيين فهي المكان الذي يحجّون إليه، حيث ولد السيد المسيح، ولذا فهم يرتبطون بها ارتباطاً روحياً عالياً جداً، فقد عاش المسيحيون فيها منذ قرون عديدة تعود إلى زمن السيد المسيح، وعندهم هناك ما يسمّى بدرب الآلام وهو مقدس عند كل الطوائف المسيحية، لاعتقادهم أن المسيح قد سار فيه حاملاً صليبه عندما اقتاده الجنود الرومان لصلبه تنفيذاً لأوامر الوالي الروماني بيلاطس.

يقول د. ميخائيل مكسي إسكندر في كتابه (القدس وبيت لحم) ... دراسة جغرافية وتاريخية وأثرية: «وقد تعرضوا - أي المسيحيين - للمتاعب الكثيرة هناك ولا سيّما من اليهود ومن غيرهم، وقد اغتصب الصليبيون في الغزو الأوروبي لبيت المقدس أملاك المسيحيين العرب وكنائسهم، إلى أن أرجعها لهم القائد العربي صلاح الدين الأيوبي، الذي وثق في أمانتهم وأعطاهم دير السلطان، وكانت شؤونهم الروحية تدار بمعرفة المطرانية السريانية، إلى أن تمّ رسامة أول مطران قبطي للقدس وتخومها سنة (١٢٣٦م)»^(١).

ومن ممتلكات المسيحيين بالقدس:

- ١- كنيسة القيامة، وهي من أشهر الآثار التاريخية والمقدسة للمسيحيين في القدس.
- ٢- دير السلطان وبه كنيسة الملاك، والأربعة كائتات الروحية غير المتجسدة.
- ٣- دير أتيّا أنطونيوس، شمال شرقي كنيسة القيامة، وبه كنيسة باسم القديسين أنطونيوس وهيلانة.
- ٤- دير مارجرس، بحارة الموارنة قرب باب الخليل.
- ٥- خان الأقباط للحج منذ عام ١٨٢٩ في حارة النصرى.
- ٦- كنيسة العذراء بالجثمانية (بجبل الزيتون).
- ٧- هيكل على جبل الزيتون.

١- ينظر: إسكندر، ميخائيل مكسي، القدس وبيت لحم، دراسة جغرافية وتاريخية وأثرية، ص ٥٥-٦٧.

٨- كنيسة باسم ماريوحنا، خارج كنيسة القيامة.

٩- هيكل باسم الملاك ميخائيل ملاصق للقبر المقدس من الغرب.

وتُوجدُ هذه الأملاك في مدينة القدس فقط، وتوجد لهم أملاك أخرى خارج المدينة.

• ثالثاً: مكائنها عند اليهود:

ينقسم اليهود في مشاعرهم تجاه القدس إلى قسمين:

الأول: منهم من يرى أنها مدينة عادية، بل ويمكن الاستغناء عنها بأخرى، ومن هؤلاء زعيم الصهيونية نفسه تيودر هرتزل، حيث من الثابت أنه قبل اقتراح السياسي البريطاني الكبير (تشمبولين) إعطاء اليهود وطناً قومياً في أوغندا بوسط أفريقيا، لولا أن غلاة الصهيونية ثاروا عليه، بل واعتدوا على مساعده (ماكس نوارداو) بالرصاص، واتهموه بالخيانة فكان أن تراجع تماماً عن موافقته.

الفريق الثاني: هم الغلاة منهم، وهم يرفعون دائماً أصواتهم ويترنمون بنص من المزامير، والذي يقول: (إِنْ نَسَيْتِكَ يَا أُورُشَلِيمَ فَلْتَشَلِّ يَمِينِي، وَلْيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنْكِي إِنْ لَمْ أَذْكَرْكَ، إِنْ لَمْ أُرْفَعْ أُورُشَلِيمَ عَلَى قِمَّةِ ابْتِهَاجِي)^(١).

ومع ذلك فإنه لا مانع لدى الجانبين من الاعتداء على المدينة المقدسة، بل إنهما يعتبران القتل والذبح والتدمير فيها قربةً إلى الله.

• أهم مقدسات اليهود في القدس:

من الثابت أنه ليس لليهود بالقدس سوى بعض الكُنس وهي حديثة البناء نسبياً، وكذلك بعض القبور، ويرجع تاريخ بناء أول كنيس إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وجميعها يقع في الحي اليهودي بالقدس القديمة، وهو الحي المعروف بحارة اليهود، ومنها، قدس الأقداس، طبرت إسرائيل، توماتورا، بيت إيل، مدراش، طابية، مزغاب لاوخ، ولليهود مقبرة خاصة بهم فيها أربعة قبور مميزة: قبر النبي زكريا، وقبر يعقوب، وقبر أبشالوم، وقبر يهوشافاط.

أما بالنسبة لحائط المبكى الذي يقده اليهود، فإن الاعتقاد السائد الخارجي عندهم أنه البقية الباقية من سور أورشاليم القديم، وأنه الحائط الخارجي للمعبد الذي رجمه هيردوس (١٨ق.م) ودمر جانبا منه تيطس (٧٠م) وأتى على ما تبقى منه هدرياتوس (١٢٥م)، ويقوم اليهود بزيارته وتقبيله، وقراءة بعض النصوص التوراتية والتلمودية إلى جواره، وكذلك البكاء على

١- التوراة: المزمور (١٣٧/٦٠٥).

مجدهم الضائع^(١).

• المبحث الرابع:

التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس

المطلب الأول:

مراحل العلاقة التاريخية بين المسلمين والنصارى في القدس:

يمكن إجمال مراحل العلاقة بين المسلمين والنصارى في القدس الشريف خصوصاً، وفلسطين عموماً، في خمس نقاط رئيسية:

١- التعايش بسلام: منذ عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى العهد الفاطمي.

٢- المضايقات التي حصلت في العهد الفاطمي للنصارى وخاصة على يد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي لقب بالمجنون، وكان هذا الخليفة قد اضطهد النصارى واليهود في القدس ومصر عموماً، ثم عاد وقربهم ثم اضطهدهم وهكذا، والعجيب أن والدة هذا الخليفة كانت نصرانية، ومن أشد ما قام به هذا الخليفة كان هدم كنيسة القيامة مما أثار حفيظة النصارى حول العالم، ولكن تمَّ السماح للنصارى بعد ذلك بإعادة بناء الكنيسة، وبعد ثمانين عاماً استخدم الباباوات والكهنة تلك الحوادث ذريعةً للحملات الصليبية.

٣- عهد الاحتلال الصليبي لبيت المقدس والحرب بين النصارى والمسلمين، واسترداد القدس من الصليبيين بعد معركة حطين (١١٨٧ م)، ومن الجدير بالذكر أن نصارى العرب الشرقيين (الأرثوذكس) في هذا العصر قد تمَّ اضطهادهم أيضاً من قبل الصليبيين، باستثناء الموارنة الذين ساعدوا الصليبيين لدخول الأراضي الإسلامية^(٢)، ومن أشهر حالات الاضطهاد التي حصلت للنصارى الشرقيين كان نهب كنوز بطريركية أنطاكيا وتعذيب البطريرك على يد رينولد دو شاتيون (أرناط) مما أثار الإمبراطور عمانوئيل إمبراطور القسطنطينية، وسبب مزيداً من التقارب بين الملك العادل نور الدين زنكي ونصارى المشرق ضد الصليبيين.

٤- التعايش في المدينة المقدسة خلال العهد المملوكي، كان نموذجاً طيباً، مع التشديد

١- ينظر: إسكندر، ميخائيل مكسي، القدس وبيت لحم، دراسة جغرافية وتاريخية وأثرية، مرجع سابق، ص ٨٠ وما بعدها..
٢- ليس كل الموارنة فموارنة (بشري) الذي كانوا ولا يزالون يسكنون سلسلة الجبال الشرقية أعانوا المنصور قلاوون في إرشاده إلى طريق طرابلس يوم جاء لتحريرها عام (٦٨٨هـ) وبالتالي مواقفهم كانت بين مد وجزر...

على النصارى عموماً تجاه المسلمين المقيمين معهم في المدينة المقدسة خلال فترة الحروب الصليبية، وخاصة في مسألة بناء وترميم الكنائس.

٥- التعايش السلمي التام خلال العصر العثماني إلى الآن، ويذكر أن التعايش في القدس بين المسلمين والنصارى حالياً يعتبر نموذجاً مميزاً، ولم تذكر أية حوادث كبرى وقعت بين المسلمين والنصارى في ظل الاحتلال الصهيوني الفاشم، بالرغم من محاولات سلطات الاحتلال تدمير هذه العلاقة من خلال محاولات إشعال الفتنة دولياً فيها، منها: قضية مسجد ریحان في القدس، وقضية مقام شهاب الدين في الناصرة وغيرها.

المطلب الثاني:

نماذج من التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين

في ظل الاحتلال الإسرائيلي

منذ النكبة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٤٨ م، يعيش المسلمون والمسيحيون في فلسطين في جوٍّ خاص من التآلف والتآخي الذي لم يتكرر في التاريخ، حيث شكل أبناء الديانتين حالة فريدة من العمل النضالي المشترك بعد احتلال الأراضي الفلسطينية، فشاركوا في المعاناة الفلسطينية، وتقاسموا الهمَّ والوجع والألم.

وخلال الانتفاضة الشعبية عام ١٩٨٧ م، كان المسلمون والمسيحيون في فلسطين عامّة وفي الضفة الفلسطينية وقطاع غزة خاصةً نموذجاً في العطاء والتضحية، وقد ظهر ذلك جلياً في الدعم المادي والمعنوي للمناضلين والمقاتلين، والذين كانوا يعتبرونه واجباً وطنياً وقومياً، وسيبقى التعايش والإخوة بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين نموذجاً حياً لكل العالم، وسيظل أبناء الديانتين شركاء في الدم والمصير، ولهم كافة الحقوق وعليهم كافة الواجبات الوطنية تجاه قضية فلسطين وحقوق شعبها المشروعة في إقامة الدولة الوطنية المستقلة.

وهذه بعض النماذج الشاهدة على أعلى درجات التعايش السلمي والتسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس.

- النموذج الأول: اتحاد القدس

(فريق اتحاد القدس الرياضي الثقافي الاجتماعي):^(١)

في عملٍ هو الأول من نوعه في مدينة القدس تمَّ بناء وتأسيس فريق كروي من البراعم والأشبال، وهو فريق رياضي الفكر، ثقافي المضمون، اجتماعي المغزى والفلسفة، وقد اجتمعت

١- فريق مقدسي يجمع بين المسلمين والمسيحيين، تأسس في الأول من فبراير ٢٠١٢، في مدينة القدس - فلسطين

كلها في وجدان السيد نور كرامه الذي كان المؤسس لفكرة ميلاد ناد رياضي جديد عُرف باسم «اتحاد القدس»، في أقدس البقاع في العاصمة (مدينة القدس)، وقد استطاع هذا الفريق أن يقدم أروع ما يمكن أن يقدمه للكرة الفلسطينية من خامات كروية، وأن يشكل نموذجاً في بناء العلاقات بين كافة أطراف المجتمع داخل المدينة المقدسة، مما يعكس واقعاً من المحبة والألفة بين السكان الفلسطينيين.

وقد بيدوا الأمر غريباً للبعض، لكنها حقيقة واقعة، فقد أصبح هذا الفريق واقعاً ملموساً، له أهدافه وغاياته الكثيرة، ولعل من أبرزها تحقيق التعايش السلمي بين مسلمي ومسيحيي المدينة المقدسة، وقد ضربوا بذلك الفريق أروع الأمثلة في التسامح والمحبة بين الديانتين.

كما أن اختيار الفريق لهذا الاسم (اتحاد القدس) لهو دليل بارز على التعايش السلمي الديني في مدينة القدس بين المسيحيين والمسلمين، ومدى اتحاد أبناء الديانتين في إطار واحد، وقد جاءت فكرة شعار الفريق التي حوت اتحاد الصليب والهلال في أعلى الشعار، والحمامة التي ترمز إلى السلام والحب المتبادل بين الديانتين، والرجل الرياضي الذي يرمز إلى الموضوع الذي يتحدث عنه الفريق، دليلاً آخر على وجود التعايش السلمي بين الديانتين.

أهداف الفريق:

- تكوين الشخصية المتكاملة من النواحي الرياضية والاجتماعية والثقافية.
- تعميق روح الولاء والانتماء للوطن بين الأعضاء وإبراز قدراتهم المختلفة.
- نشر التربية الرياضية وما يتضمنها من نواح ثقافية واجتماعية ودينية.
- تهيئة الوسائل وتيسير السبل لاستثمار أوقات فراغ الأعضاء عن طريق ممارسة الأنشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية والدينية.
- التعاون مع الهيئات الرياضية والاجتماعية الأخرى وتبادل الزيارات واللقاءات معها.
- تحقيق الإنجازات الرياضية، ورفع اسم مدينة القدس عالياً في كافة المحافل الرياضية والأجتماعية على كافة المستويات المحلية والعلمية، والمساهمة في بناء المجتمع المحلي رياضياً واجتماعياً⁽¹⁾.

١- ينظر: موقع اتحاد القدس: Forum.koooro.com

- النموذج الثاني:**الجبهة الإسلامية المسيحية للدفاع عن القدس والمقدسات:**

تأسست الجبهة الإسلامية المسيحية للدفاع عن القدس والمقدسات بتاريخ (٢ مارس ٢٠٠٧م) كهيئة غير حكومية وغير ربحية، ثم في (٢٦ أكتوبر ٢٠٠٨م) أصدر رئيس السلطة الوطنية محمود عباس مرسوماً رئاسياً يقضي بإنشاء الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، لتصبح ابتداءً من هذا التاريخ جزءاً أساسياً من منظمة التحرير الفلسطينية وتتبع للرئيس بشكل مباشر.

وفي (٥ مارس ٢٠٠٩م) أصدر الرئيس مرسوماً آخر لتشكيل مجلس رؤساء للهيئة يضم (٣٦) شخصية من الشخصيات الإسلامية والمسيحية، نصفهم من المسلمين ونصفهم من المسيحيين.

وبتاريخ (٢٣ مارس ٢٠٠٩م) تم عقد الاجتماع الأول لمجلس الرؤساء التأسيسي، الذي تم خلاله انتخاب الرئيس المسلم الشيخ الدكتور تيسير التميمي، والرئيس المسيحي المطران الدكتور عطا الله حنا.

وما تزال الهيئة تواصل دورها في الدفاع عن المدينة المقدسة، وفي فضح الممارسات الإسرائيلية في حق المقدسات الإسلامية والمسيحية، وفي إسماع صوت القدس إلى المسلمين والمسيحيين، وإلى كل الأحرار في العالم.

وتقوم الهيئة بممارسة المهام والصلاحيات التالية:

- ١- الدفاع عن مدينة القدس الشريف والأماكن المقدسة فيها.
- ٢- تفعيل العلاقات الإسلامية المسيحية في إطار عمل مشترك من أجل مدينة القدس الشريف ومقدساتها الإسلامية والمسيحية، والتصدي المشترك لإجراءات المحتل على القدس ومقدساتها.
- ٣- التنسيق والتواصل مع كافة المؤسسات والمنظمات العربية والدولية، لتوحيد الجهود من أجل نصرة القدس وحماية مقدساتها الإسلامية والمسيحية.
- ٤- توثيق أخبار القدس وما تشهده من أحداث، بما في ذلك مخططات المحتل وإجراءاته واعتداءاته التي تستهدف القدس ومقدساتها ومواطنيها، وتقديمها للرأي العام العربي والدولي.
- ٥- المساهمة في بلورة وتوجيه الأنشطة والفعاليات العربية والدولية المتعلقة بالقدس،

وتتسيق المشاركات الرسمية والشعبية فيها على مستوى الداخل والخارج.

وهي في سبيل ذلك تقيم النشاطات وتنظم المؤتمرات واللقاءات وتصدر البيانات^(١).

- النموذج الثالث:

المطران د. عطا الله حنا رئيس أساقفة سبسطية الروم الأرثوذكس:

خلال لقاء في مجلس العلاقات الإسلامية المسيحية في الكويت، ناشد المطران د. عطا الله حنا - رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس - خادم القدس الشريف - الأمة العربية والإسلامية والمسيحية مساعدة ومؤازرة الشعب الفلسطيني ومدينة القدس للوقوف ضد الاحتلال الصهيوني وما يعانیه هذا الشعب من ظلم واضطهاد وانتهاك للحقوق.

«...وأضاف: أن مدينة القدس هي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، هذه المدينة التي تحتضن المقدسات والتراث الإسلامي، مؤكداً أنه لا يوجد في الديانة المسيحية ما هو أقدس من القدس حيث ولد السيد المسيح وعاش فيها بحياته ومآثره وبما قدم للإنسانية من أسمى وأفضل القيم الإنسانية، مبيّناً أنه من قلب فلسطين انطلقت لكل العالم، لذا فإن فلسطين هي قلب الوجود للمسيحيين في العالم، وكذلك الإسلام واليهود، وأضاف إننا كمسيحيين نحترم كل الأديان حتى اليهود، ونختلف مع الصهاينة الذين هم ضد القيم الإنسانية، ويقومون بالقتل والنهب والانتهاك والظلم وتحقيق البرنامج المبرمج لتحويل القدس إلى عاصمة يهودية للأبد.

- مواجهة الأطماع الصهيونية:

... ودعا حنا إلى توحيد الصف وأن نكون قلباً واحداً من أجل القدس والأمة العربية، وأن تكون الأمة العربية قوية في وجه الاطماع العنصرية التي تستهدف المؤسسات والمقدسات والشعب الفلسطيني.

وأكد أن الأمة العربية وشعوبها الشرفاء لا يتركون الشعب الفلسطيني وحيداً أمام إسرائيل مع أن أهل القدس يقفون أمام الصهاينة ولكنهم بحاجة إلى المؤازرة وتكثيف دموعهم والوقوف مع اليتامى والتكلى، وقال ليس الوقوف مع شعبنا عن طريق المؤتمرات والخطابات فهذه شعبنا منها، مشيراً إلى حاجة القدس إلى مشاريع إسكانية ومستشفيات أهم من الأماكن الأخرى التي ترسل لها الملايين، وأضاف إننا بحاجة لبناء الكنائس والمساجد، وأقول بأن القدس في خطر، فعلى الجميع أن يهبوا للمساعدة من أجل أن تكون القدس مدينة محررة رمزاً للمحبة والسلام...»^(٢).

١- ينظر: موقع الهيئة الإسلامية المسيحية: www.elquds.org

٢- ينظر: النص الكامل في مؤتمر الكويت، على هذا الموقع:

- النموذج الرابع:

دراسة للدكتور إلياس إسعيد:

الفلسطينيون المسيحيون شركاء في الوطن، وليسوا مجرد أقلية:

«... الخطر الذي يهدد المسيحيين في الأراضي الفلسطينية هو الخطر نفسه التي يواجهه كل فلسطيني وكل شعوب المنطقة، وهو غياب السلام، واختلال موازين العدل، وانعدام الاستقرار»^(١).

بهذه الكلمات المنسوبة إلى بطريك القدس ميشال صباح المعروف بمناهضة الاحتلال، ودعوته إلى التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين وفي المنطقة بصفة عامة، صدر الدكتور إلياس إسعيد، رئيس الجمعية الخيرية الأرثوذكسية ببيت ساحور، وأمين سر مجلس المؤسسات الأرثوذكسية في فلسطين دراسته المعنونة: «المسيحيون الفلسطينيون، حقائق وأرقام وتوجهات»، عرض نتائجها لأول مرة خلال أسبوع ثقافية نظمتها جمعية الجالية الفلسطينية بسويسرا يوم (٦ يونيو ٢٠٠٩م)، بالعاصمة الفدرالية السويسرية، (برن).

ويكتسي هذا البحث أهمية كبرى في لحظة يزداد فيها الحديث عن «المضايقات التي يتعرض لها المسيحيون في الشرق الأوسط»، ويتزامن مع دعوة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، خلال خطابه بجامعة القاهرة بداية هذا الشهر، إلى إنصاف المسيحيين في البلدان العربية كالأقباط في مصر، والموارنة في لبنان.

أما في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد توجهت الأنظار إلى المسيحيين منذ فوز حماس بالانتخابات التشريعية يناير (٢٠٠٦م)، وربطت دوائر كثيرة هجرتهم من الأراضي الفلسطينية، بشعورهم بالتمييز ضدهم.

وتمتاز هذه الدراسة بطابعها العلمي إذ تستعيز عن الكلام الإنشائي بالإحصاءات والأرقام والحقائق التي لا تقبل جدلاً لتكشف عن عمق ترابط الشعب الفلسطيني بكل دياناته وطوائفه، ولتثبت الاندماج الكامل للمسيحيين في النسيج الاجتماعي المحلي، على المستويات كافة.

- التمسك بالانتماء الفلسطيني:

على خلاف ما تروج له بعض الدوائر مثلاً، فإن الوثيقة تشدد على «أن المضايقات التي يتعرض لها المسيحيون الفلسطينيون مصدرها الاحتلال، وليس المؤسسات الفلسطينية، ويضيف

alwatan.kuwait.tt/ArticleDetails.aspx/articlecommententry.aspx?id=217607&yq=0

١- سعيد، إلياس، المسيحيون والمسلمون حقائق وأرقام وتوجهات، مؤسسة إيا، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٢.

الدكتور إسماعيل بفخر واعتزاز: «المسيحيون الفلسطينيون جزء من المجتمع ومن السلطة، وهم أبناء الوطن، جذورهم ضاربة في تربته، ولا يعتبرون أنفسهم جسماً غريباً، كما يرفضون وصفهم بالأقلية، حتى وإن مثّلوا واحد ونصف بالمائة من الشعب الفلسطيني».

يتوجه السيد إسماعيل بخطابه إلى المطالبين بالإنصاف والعدالة للمسيحيين في الشرق الأوسط: «نحن نرفض تدخلكم في شؤوننا، أو توظيف ملفنا لأغراض مشبوهة. نحن نستمد قوتنا من الشارع العربي، ومن إخوتنا المسلمين، ومن ثقافتنا العربية ولغتها لغة القرآن».

... وبدلاً من ذلك يدعو المجتمع الدولي إلى «مطالبة إسرائيل بهدم الجدار العنصري، ورفع الحواجز التي تمنع المسلمين والمسيحيين من أداء طقوسهم الدينية في القدس». وبين استطلاع للرأي أجراه صاحب الدراسة أن (٦٠٪) من المسيحيين الفلسطينيين يعرفون أنفسهم بأنهم فلسطينيون عرب، وأن (٣٠٪) فقط يقدمون انتمائهم الديني على انتماءهم الوطني.

- المشاركة السياسية :

هذه الدراسة ترفض الادعاءات التي تذهب إلى القول بأن المسيحيين الفلسطينيين مضطهدون في الأراضي المحتلة، ويقول إلياس إسماعيل: «نحن نتمتع بحرية كاملة، ومنتقد سياسة السلطة حين نرى أنها خاطئة، وليس هناك من يضايقنا أو يعتدي علينا، بل أستطيع القول أنه توجد لدينا حقوق وامتيازات تتجاوز بكثير ما هو متاح لإخوتنا المسلمين على الرغم من قلة عددهم في الشارع الفلسطيني»....

... ولا يبدو هذا الكلام بعيداً عن الصواب إذا علمنا الحضور القوي للمسيحيين في المؤسسات السياسية الفلسطينية، وفي منظمة التحرير نفسها، إذ يوجد في الأراضي المحتلة (١٠) رؤساء بلديات، و(١٠) موظفين كبار في مكتب رئيس السلطة الفلسطينية، و(٧) سفراء للسلطة، ووزيران بحكومة رام الله، وفاز (٧) أعضاء مسيحيون بمقاعد في البرلمان الفلسطيني الأخير الذي عطل عملية الصراع بين فتح وحماس.

... ويكفي الإشارة إلى أن (٢٠٪) من مجموع المسيحيين الفلسطينيين ينتمون إلى أحد الأحزاب القائمة، في حين تشغل نسبة كبيرة منهم من داخل مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني، حيث نجد في الأراضي المحتلة (٥٧٥) منظمة مسيحية غير حكومية.

... ويؤكد صاحب الدراسة أن المسيحيين موجودون في جميع الأحزاب الوطنية، ومنهم عدد من الشهداء، وأن أغلب مؤسسي الحركات الثورية الفلسطينية الممثلة داخل منظمة التحرير الفلسطينية هم من أصل مسيحي، كنايف حواتمه، وجورج حبش، وسليم نصار، وحنان عشراوي،

هذا بالإضافة إلى أن عشرات من الكُتَّاب والشعراء والقصاصين قد رووا بكتاباتهم شجرة الوعي الفلسطيني، وساهموا بفعالية في الحفاظ على الذاكرة الوطنية، وفي نقد العقلية الصهيونية، كالمؤرخ الفقيه إدوارد سعيد، والشاعر سميح القاسم^(١).

• ويتضح من النماذج السابقة أن التسامح الديني له قيمٌ يُبنى على أساسها، وفي خضمها يحقق غايته المرجوة، وتُشكّل بمجموعها دوافع ذات قيمٍ عليا للتعايش السلمي - تمثّلها أهل مدينة القدس - وهي:

١- التسامح الديني ضرورة وجودية:

إن ما يجب تسليط الضوء عليه أن التسامح الديني ذو بُعد وجودي، أي أنه ضروري ضرورة الوجود نفسه، فسنة الوجود قد اقتضت أن يكون وجود الناس على الأرض في شكل تجمعات بشرية، وهي وإن اتفقت فيما يجمع بينها من وحدة الأصل والحاجة إلى التجمع والحرص على البقاء والرغبة في التمكّن من مقومات الحياة والسعي في إقامة التمدن والعمران والتوقُّ إلى الارتقاء والتقدم، فإنها قد تباينت في ما تنفرد به كل مجموعة من خصوصية عرقية ودينية وبيئية وثقافية.

فهذا الاختلاف النمطي ضروري، ووجوده حتمي، حتى يتمكن كل فرد وكل مجتمع من العيش حسبما لديه من إرادة وحرية واختيار وبالطريقة التي يهاها ويرتضيها، وهكذا نلاحظ أن الغاية من اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل، وتنوعهم إلى ثقافات ومدنيات، إنما هو: التعارف لا التناكر، والتعايش لا الاقتتال، والتعاون لا التطاحن، والتكامل لا التعارض، ويات واضحاً أن أهمية التسامح الديني تتمثل في كونه ضرورياً ضرورة الوجود نفسه.

٢- التسامح الديني يقتضي الاحترام المتبادل:

إن قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يُقرُّ الاختلافَ، ويقبل التنوع، ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميّز الأفراد من معطيات نفسية ووجدانية وعقلية، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية امتزج فيها قديم ماضيه بجديد حاضره، ورؤية مستقبلية، وهي سبب وجوده وسر بقائه وعنوان هويته ومبعث اعتزازه.

٣- إن التسامح الديني يقتضي التسليم المطلق - اعتقاداً وسلوكاً وممارسة - بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فأولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حرمة فأولئك دين له حرمة نفسها، وإذا كان لهؤلاء خصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فأولئك خصوصية ثقافية لا تقبل المسّ أبداً.

١- ينظر: سعيد، إلياس، المسيحيون والمسلمون حقائق وأرقام وتوجهات. المرجع السابق، ص ٢-٣٠.

٤- التسامح الديني داعمٌ لإقامة مجتمع مدني:

فمن الواضح أن التسامح الديني يُعدُّ أرضيةً أساسيةً لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، فالتعددية والديمقراطية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان وتقدير المواثيق الوطنية، واحترام سيادة القانون خيارات استراتيجية، وقيم إنسانية ناجزة لا تقبل التراجع ولا التفريط ولا المساومة، فالتسامح عامل فاعل في بناء المجتمع المدني، ومشجع على تفعيل قواعده.

٥- التسامح الديني سببٌ لتحقيق المصالح المشتركة لجميع أفراد المجتمع على اختلاف أديانه وأعراقهم، وأنه سبب لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، وتنمية المجتمعات وتطويرها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، وبعد..

فقد تناولت هذه الدراسة مفهوم التعايش السلمي، والتسامح الديني عند أصحاب الديانات السماوية من خلال الفهم السليم لأحكام رب العالمين، رب الديانات جميعاً، وبيّنت أن التعايش الديني هو الوسيلة للتواصل الحضاري والتبادل الثقافي والتقاء الأمم لما فيه خير البشرية وصالحها العام، كما وهدفت الدراسة إلى بيان أهمية القدس التاريخية والمكانية عند أصحاب الديانات السماوية، وقدمها نموذجاً تطبيقياً حياً يمكن الاقتداء به في مجالي التعايش السلمي، والتسامح الديني.

وخلص الباحث إلى جملة من النتائج، كما يلي:

١- إن معنى التعايش هو قبول التصالح الدنيوي والوجود والجوار، والاتفاق على جملة من الأخلاق الإنسانية التي تتيح فرصة لتبادل الحوار والإقناع، ورفض الطغيان والجبروت والكبرياء وفرض الهيمنة، بأن يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، يستوحون منهم التعاليم والمبادئ، أو يخشونهم، أو يخضعون لما يملكونه من قوة باطشة، مما يؤدي إلى خلل في الكيان الإنساني، وإلى الفوضى في العالم.

٢- إن من الصعوبة أن يعيش الإنسان مع نفسه دون أن يختلط مع بقية المجتمعات الأخرى، التي تؤمن بغير دينه، ودون أن يدخل في عملية تبادلية مع طرف ثانٍ، أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول أهداف، أو ضرورات مشتركة، لذلك فإنه ينبغي أن ينطلق هذا

التعايش ابتداءً من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، ومن أجل الحياة الإنسانية الحرة الكريمة، وفي المجالات ذات الاهتمام المشترك.

٢- إنَّ الإسلام بمنهجه وتعاليمه واضحٌ لا غموض فيه، ومن أراد أن يتعرف عليه فليأتمل مصادره المعتبرة الأصلية، ولينظر حقيقة ما جاء به كدين سماوي خاتم، أما أن نحكم على الإسلام من خلال تصرفات بعض المخالفين والمقصرين فذلك قياسٌ باطل وظلم كبير للإسلام، فالإسلام قد قاوم كل اتجاه يُنزع إلى التشدد والتعصب والغلو، وعلى العقلاء والمنصفين التعرف على الإسلام من خلال قواعده وأحكامه ومنهجه، فقد جاء الإسلام بجميع الأحكام التي تنظم كافة العلاقات، وترقق أخلاق الناس وتهذب سلوكهم، وتحترم الاعتداء على الآخرين المسالمين، ومن يخالف ذلك فهو بعيد عن منهج الإسلام، والإسلام من تفریطه وغلوّه براء.

٤- أنَّ التعاليم المسيحية متمثلةٌ بالإنجيل، مملوءةٌ بالتعاليم التي تُلزم المسيحيين بالتعامل مع بقية أبناء الأديان الأخرى بالمحبة والتسامح، وعدم نبذ الآخر المختلف عقيدةً ولوناً وشكلاً، والأصل في جميع المعتقدات أنَّ الإنسان عند الله مفضل على أي شيء آخر، وأنَّه من الظلم الكبير أن تتناحر الشعوب وتسفك الدماء البريئة على معتقدات، لو شاء لها الله أن تكون واحدة موحدة لجميع بني البشر، لفعل ذلك، ولكن الأصل في الحياة هو الاختلاف وتبادل الآراء والتفاهم والعيش المشترك.

٥- إنَّ مدينة القدس حظيت - وما تزال - بمكانة عظيمة في التاريخ الإنساني، لم تضاهيها في ذلك أية مدينة عبر التاريخ وعلى مر العصور، فلقد تميّزت هذه المدينة بخصوصية اكتسبتها من انفرادها بالبعد الروحي المرتبط بالزمان والمكان، فكانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم، تعاقبت عليها الحضارات وأمتها المجموعات البشرية المختلفة، مخلفة وراءها آثارها ومخطوطاتها الأثرية، التي جسدت الملاحم والحضارة والتاريخ، ولهذا دلالة على عظم المكان وقديسيته.

٦- إنَّ التعايش والأخوة بين المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس نموذجٌ حيٌّ لكل العالم، وبالرغم من كل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة، سيظل أبناء الديانتين معاً شركاء في الدم والمصير، ولهم كافة الحقوق وعليهم كافة الواجبات الوطنية تجاه قضية فلسطين عامة والقدس خاصة.